

## كيف أصبح معيّلين مقتصدين: على الصعيدين المادي والروحي

الشيخ روبرت هايلز  
من رابطة الرسل الإثني عشر

عندما نكون مقتصدين في حياتنا، نستطيع أن نعيل أنفسنا وعائلاتنا كما يصبح بإمكاننا أن نتبع مثل المخلص فنخدم الآخرين ونباركهم.

يالها من بركة أن يوجّهنا نبيّ حَيّ! تعلم الرئيس توماس مونسن الذي ترعرع في خلال فترة الكساد الكبير كيف يخدم الآخرين. وغالباً ما كانت أمّه تطلب منه أن يأخذ الطعام إلى الجيران المحتاجين، كما كانت تقدّم وظائف صغيرة متنوّعة للرجال المشردّين مقابل وجبات طعام مطهّوة في المنزل. ثمّ علّمه الرئيس ج. روبرت كلارك عندما كان أسقفاً شاباً: "كن لطيفاً مع الأرملة واعتن بالفقير" ( *Ensign*, May 1986, 62 ). واهتمّ الرئيس مونسن بأربع وثمانين أرملة واعتنى بهنّ حتّى وفاتهنّ. وعلى مرّ السنين، أمست الخدمات التي يقدّمها للأعضاء والجيران في مختلف أنحاء العالم سمة فترة خدمته. ونحن ممتّون لهذه القدوة التي ضربها. فشكراً لك أيّها الرئيس مونسن.

أيّها الإخوة والأخوات، تماماً كما حصل مع الرئيس مونسن، يترعرع أولادنا في جوٍّ من الاضطرابات الاقتصادية. وكما استخلص أجدادنا وأهاليهم عبراً حيويّة خلال المحن الاقتصادية، من شأن ما نتعلّمه الآن في الظروف الراهنة أن يباركنا ويبارك ذريّتنا في الأجيال المقبلة.

إنّي أتوجّه اليوم إلى كلّ الذين تقلّصت حرّية اختيارهم جرّاء خيارات ماضية غير حكيمة. وإنّي أقصد بالتحديد الخيارات التي أدت إلى استئدانة المفرطة وإدمان على الطعام والمخدّرات والخلاعية وغيرها من أنماط التفكير والتصرّف التي تقلّل تقدير الذات. فهذه الإفراطات كلّها تؤثر علينا شخصياً وتفسد علاقاتنا العائلية. بالطبع، لا بدّ أحياناً من الاستئدانة لتأمين الحاجات الضروريّة لعائلاتنا كالتعليم ومنزل متواضع وسيارة بسيطة. لكن، لسوء الحظ، تتفاقم هذه الاستئدانة عندما نعجز عن السيطرة على رغباتنا ونزواتنا الإدمانية. وللأسف، الإدمان حلٌّ واحدٌ يحيي فينا الأمل هو الالتجاء إلى الرب وحفظ وصاياه. يجب علينا أن نرغب في المقام الأوّل في تغيير حياتنا بحيث نكسر دوامة الاستئدانة ونكبح الرغبات التي نعجز عن السيطرة عليها. وإنّي أصلي كي يملأكم الأمل بمخلصنا يسوع المسيح في بضع دقائق وخلال هذا المؤتمر برمته وكي تستمروا الرجاء من عقائد إنجيله المستعاد.

تشكل تحديّاتنا بما فيها تلك الناجمة عن قراراتنا الخاصة جزءاً من اختبارنا في الحياة الفانية. وإنّي أوكد لكم أنّ وضعكم ليس بعيداً عن تناول مخلصنا. من خلال مخلصنا، يمكن أن يعطينا كلّ صراع خبرةً ويكون بالتالي لصالحنا (راجع المبادئ والعهود 122: 7). فكلّ تجربة نتخطاها تقويّنا ولا تدمرنا. ولن يسمح الرب أبداً بأن نعاني فوق طاقتنا (راجع الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 10: 13).

علينا أن نتذكّر أنّ الشيطان يعرفنا خير معرفة. وهو يعرف أين ومتى وكيف يجربنا. ولكن إن أطعنا همسات الروح القدس، نستطيع أن نتعلّم كيف نميّز إغراءات الشيطان. وقيل أن نستسلم للتجارب، علينا أن نتعلّم أن نقول بعزم راسخ: "أذهب عني يا شيطان" (متّى 16: 23).

لا يمكن قياس نجاحنا بقوة التجارب بل بالإيمان الذي نتحلّى به في ردّنا. علينا أن نطلب المساعدة من أبينا السماوي ونستمدّ القوة من كفارة ابنه يسوع المسيح. إذ إنّ الحصول على هذه المساعدة الإلهية يسمح لنا بأن نصبح معيّلين مقتصدين ليس فقط لأنفسنا بل للآخرين أيضاً وذلك على الصعيدين المادي والروحي.

ما المقصود بالمعيّل المقتصد؟

كلّنا مسؤولون عن إعالة أنفسنا وعائلاتنا مادياً وروحياً. ولكي نكون معيّلين مقتصدين، يجب أن نطبّق مبادئ الاقتصاد في العيش: أي أن نعيش بفرح ضمن حدود مواردنا ونكتفي بما نملك ونتجنّب الاستئدانة المفرطة ونُدخر بكدّ ونخبّي القرش الأبيض لليوم الأسود. فعندما نكون مقتصدين في حياتنا، نستطيع أن نعيل أنفسنا وعائلاتنا كما يصبح بإمكاننا أن نتبع مثل المخلص فنخدم الآخرين ونباركهم.

بصفتنا معيّلين مقتصدين، علينا أن نحفظ الوصيّة الأكثر جوهرية: "لا تنشئه" (الخروج 20: 17). إذ إنّ عالمنا محفوفٌ بحبّ الامتياز. وقد يشعر البعض منّا بالإحراج أو الخجل أو حتّى بانتقاص قيمتهم إن لم تمتلك عائلاتهم كلّ ما يملكه

الجيران. بالتالي، نغرق في الاستدانة لنبتاع أشياء تتخطى طاقتنا الشرائية أو لا نحتاج إليها في الواقع . ومتى نقوم بذلك، نصبح فقراء مادياً وروحياً . إذ أننا نتخلى عن البعض من قدرتنا على الاختيار التي لا تُقدّر بثمن ونضع أنفسنا في عبودية نحن نفرضها على ذاتنا . ويترتب علينا بالتالي أن نستخدم المال الذي كان يمكننا استعماله للاعتناء بذاتنا وبالأخرين لسد ديوننا. وفي أغلب الأحيان، ما يتبقى يكون بالكاد يكفي لتلبية حاجتنا المادية الأساسية . ففي نمط الحياة هذا الذي بالكاد يكفي لتلبية حاجتنا الأولية، نشعر بالإحباط، ويتزعزع تقديرنا لذاتنا وتضعف علاقاتنا مع العائلة والأصدقاء والجيران ومع الرب. ونفكر إلى ما يكفي من الوقت والطاقة والاهتمام لنسعى وراء الأمور الروحية.

كيف نتجنب إذاً ونتخطى عادات الاستدانة والإدمان على الأمور المادية والأرضية؟ اسمحوا لي أن أشارككم درسين في الاقتصاد في العيش قد يساعدان كلاً منّا. وقد علمتني زوجتي وشريكتي الأبدية هذين الدرسين بالإضافة إلى الكثير من الدروس المهمة الأخرى في الحياة . واستخلصت هاتين العبرتين في خلال فترتين مختلفتين من زواجنا عندما أردت أن أشتري لها هدية مميزة لإحدى المناسبات.

تعلمتُ الدرس الأول عندما كنّا زوجين جديدين لا يملكان الكثير من المال . وقد كنتُ حين ذلك في القوات الجوية ولم نستطع أن نحتمل بعيد الميلاد سوياً . إذ كنتُ في مهمة في الخارج . وعندما عدتُ إلى المنزل رأيتُ فستاناً جميلاً في واجهة أحد المحلات فعرضتُ على زوجتي أن نبتاعه إذا راق لها. فدخلت ماري إلى غرفة تبديل الملابس في المحلّ. وبعد برهة، خرج البائع ومرّ من جانبي بسرعة وأعاد الفستان إلى مكانه في واجهة المحلّ . وبعد أن غادرنا المتجر استفسرتُ عما حصل . فأجابت: "كان فستاناً جميلاً لكن يفوق قدرتنا الشرائية!" أصابت هذه الكلمات صميم قلبي . وتعلمتُ أنّ الكلمة الأكثر محبة بين الناس هي "أحبك" والكلمات الثلاث التي تعبّر خير تعبير عن اهتمامنا لمن نحبه هي "يفوق قدرتنا الشرائية".

أمّا الدرس الثاني فتعلمته بعد عدّة سنوات عندما تحسّن وضعنا المالي . مع اقتراب عيد زواجنا، أردتُ أن أبتاع لماري معطفاً باهظ الثمن لأعبر لها عن حبي وتقديري للسنوات الكثيرة السعيدة التي عشناها سوياً . عندما سألتها عن رأيها في المعطف الذي كنتُ أفكر فيه، أجابتني بكلماتٍ أصابت مجدداً قلبي وذهنِي . فقد سألت: "أين أردتِبه؟" (كانت في تلك الفترة رئيسة جمعية الإعانة في الجناح تساعد في خدمة العائلات المحتاجة.)

ثمّ علمتني درساً لا يُنتسى. وضعت عينيها في عينيّ وسألتنني بلطف: "هل تشتريه لي أو لك؟" أي بمعنى آخر هي كانت تسألني: "ما الغاية الحقيقية من هذه الهدية؟ هل تريد أن تعبّر لي عن حبك أو تريد أن تريني أنك معيلٌ جيّدٌ أم أنك تريد أن تبرهن أمراً ما للعالم؟" وعندما تأملت في سؤالها، أدركتُ أنني كنت أفكر أكثر في نفسي ممّا أفكر فيها وفي عائلتنا.

وبعد هذه الحادثة، كان لنا نقاشٌ جديٌّ حول الاقتصاد في العيش بدل حياتنا ووافق كلٌّ منّا على أنه من الأفضل أن نصرف مالنا لسدّ قرضنا المنزلي والادخار في صندوق تعليم أولادنا.

يشكل هذان الدرسان جوهر الاقتصاد في العيش . فنحن نحتاج جميعاً إلى أن نتعلم أن نقول لبعضنا البعض عندما تواجهنا خيارات شراء الأشياء المادية واستهلاكها والانخراط في الن شاطات الدنيوية: "لو أننا نريد هذا الغرض فهو يفوق قدرتنا الشرائية!" أو "لدينا المال لنبتاع هذا الغرض لكننا لسنا بحاجةٍ إليه ولا نريده فعلاً حتّى!"

يستند هذان الدرسان إلى مبدأ له القدر ذاته من الأهمية : وهو أنّ الحوار بين الزوجين يعلم الكثير . وفيما نعمل سوياً في المجالس العائلية وننصح بعضنا البعض، يمكننا أن نساعد بعضنا لنصبح معيّلين مقتصدين ونعلم أولادنا أن يقتصدوا في عيشهم.

في هذا الإطار، يشكل قانون العشور حجر الأساس للاقتصاد في العيش. ويهدف هذا القانون بشكل رئيسي إلى مساعدتنا في تعزيز إيماننا بأبينا السماوي وبابنه يسوع المسيح . ومن شأن العشور أن تساعدنا على كبح رغباتنا في الأمور الدنيوية والقيام بتضحياتٍ للأخرين عن طيب خاطر . إنّ قانون العشور هو قانونٌ منصفٌ بامتياز إذ ندفع كلنا، أغنياء كئنا أم فقراء، عشر كامل دخلنا السنوي (راجع المبادئ والعهود 119: 4) ونحصل كلنا على بركات عظيمة بحيث "لا توسع" (ملاخي 3: 10).

بالإضافة إلى عشورنا، علينا أن نكون أيضاً قُدوةً من خلال دفع عطايا الصوم . ويوازي عطاء الصوم على الأقلّ ثمن وجبتين متتاليتين نصوم عنهما كلّ شهر . وعندما نصوم عن هاتين الوجبتين، نتقرب من الرب في التواضع والصلاة ونشارك في عطاء لا يُفصح عن مصدره لنبارك إخوتنا وأخواتنا في أنحاء العالم أجمع.

وبشكل وضع موازنة للعائلة طريقة مهمة أخرى تساعد من خلالها أولادنا على تعلم الاقتصاد في العيش . فعلينا أن نقوم بانتظام بإعادة النظر في دخل عائلتنا ومدخراتها وخطّة إنفاقها خلال اجتماعات المجلس العائلي . ومن شأن هذا الأمر أن يعلم أولادنا كيف يميّزوا بين الرغبات والحاجات وأن يخطّطوا لاستخدامٍ مجدٍ لموارد العائلة.

عندما كان أبناؤنا لا يزالون صبيةً، عقدنا مجلساً عائلياً قرّرنا فيه أن نمضي " عطلة الأحلام " قرب نهر كولورادو . وعندما كان أحدٌ منّا يريد شراء شيءٍ ما في بحر السنة، كنّا نسأل بعضنا : "هل نريد حقاً أن نشترى هذا الشيء الآن أم نريد أن نأخذ عطلة أحلامنا لاحقاً؟" وكانت هذه الخبرة بالفعل تجربة رائعة لتعليم الاقتصاد في العيش . فنحن لم نلبّ على الفور كلّ رغبةٍ تراودنا مما سمح لنا أن نحصل على مكافأة نطمح إليها أكثر وهي جمع العائلة وتجميع ذكرياتٍ ثمينة للسنوات المقبلة .

كلما أردنا أن نختبر أو نملك شيئاً من شأنه أن يؤثر علينا وعلى مواردنا، علينا أن نسأل أنفسنا أولاً عن فائدته . فهل هي عابرة أم أنّ له قيمة ومعنى أديين؟ وقد تساعدنا الإجابة الصادقة إلى هذه الأسئلة في أن نتجنّب الاستدانة المفرطة وغيرها من السلوكات الإدمانية.

وفي سعينا لتخطّي الاستدانة والسلوكات الإدمانية، علينا أن نتذكّر دائماً أنّ الإدمان هو توك عند الإنسان الطبيعي لا يمكن إشباعه أبداً . إنّه ظمأ لا يُروى . وعندما نقع في الإدمان، نسعى وراء الممتلكات الدنيوية والملذات الجسدية التي يبدو أنّها تغويننا . لكن بصفتنا أبناء الله، ينبغي أن يكون جوّنا الأشدّ وأكثر ما نسعى إليه هو ما وحده الرب يستطيع أن يؤمّنه لنا أي حبّه وتقديره للقيمة الذاتية وأمانه وثقته وأمله في المستقبل وتأكيد حبّه، ما يجلب لنا البهجة الأبدية.

لا بدّ لنا من أن نسعى قبل كلّ شيء إلى تحقيق مشيئة أبينا السماوي ونكون معيّلين مقتصدين لنا وللآخرين . وعلينا أن نقول تماماً كما قال والد الملك لاموني: "لسوف أهرج جميع أثامي ليتاح لي أن أعرفك" (ألما 22: 18). ثمّ يمكننا أن نقصده بعزم صارم ونعده بأن نعمل كلّ ما يتوجّب فعله . وعبر الصلاة والصوم وحفظ الوصايا والبركات الكهنوتية وتضحيتة التكفيرية، سوف نشعر بقوّته وحبّه في حياتنا . ونحصل على إرشاده وقوّته الروحيين من خلال همسات الروح القدس . فيفضل كفاة الرب فقط يمكننا أن نحصل على تغيير عظيم في قلوبنا (راجع موصايا 5: 2 وألما 5: 14) وفي سلوكنا الإدماني.

بكلّ الحب الذي أحمله في داخلي وحبّ المخلص الذي ينبع من خلالي، أدعوكم أن تأتوا إليه وتسمعوا كلماته : "لا تزونا فضةً لغير نفع وتعبكم لغير شبع . استمعوا لي استماعاً واذكروا ما تفوّهت به؛ وهلمّوا إلى قدّوس إسرائيل، وكلوا الطيب الذي لا يفنى ولا يصيبه فساد" (2 نافي 9: 51).

إنّي أشهد أنّه من خلال الالتجاء إلى الرب فحسب نستطيع أن نكبح رغبة امتلاك الأمور الدنيوية . ووحده حبنا للرب يستطيع أن يحلّ مكان جوع الإدمان . والرب مستعدّ لمساعد كلّ واحدٍ منّا . وهو قد قال: "لا تخافوا... لأنكم لي وقد تغلّبت على العالم" (المبادئ والعهود 50: 41).

أعطي شهادتي الخاصة أنّه من خلال كفاة تغلّبت على العالم برمتّه . فليخطّ كلّ منّا التجارب الدنيوية باللجوء إليه والتحوّل إلى معيّل مقتصد له وللآخرين على الصعيدين الروحي والمادي. هذه هي صلاتي المتواضعة باسم يسوع المسيح، أمين.